وكان قوم من أهل العراق قتلوا ابن يزيد العيني ونكحوا امرأته ونشأ له منها ولد بالعين يسمى ضبة يغدر بكل من نزل به ويأكل معه ويشرب واجتاز أبو الطيب بالطف فنزل بأصدقاء له وسارت خيلهم إلى هذا العبد واستركبوه فلم ير المسير معهم فدخل العبد الحصن وامتنع بدوا وقاموا عليه أياماً لا سلام له إلا شتمهم من وراء الحصن أقبح شتم ويسمي أبا الطيب ويشتمه وأراد القوم أن يجيبوه بمثل ألفاظه القبيحة وسألوه ذلك فتكلف لهم على مشقة وعلم أنه لو سبه لهم من طريق ما فهموه ولم يعمل فيه عمل التصريح فخاطبه على ألسنتهم من حيث هو في جمادى الأخرة سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة

ما أنصف القوم ضبه ۞ وأمه الطرطبه
رموا برأس أبيه ۞ وناكوا الأم غلبه

هذا الوزن من الشعر يسمى المجتث وهو مستفعلن فاعلاتن ثم يجوز في زحافه مفاعلن فعلاتن والطرطبة العظيمة الضخمة وقيل هي المسترخية الثديين وكان قصة هذا الرجل ما بينا قبل ذلك والمعنى يقول لم ينصفوه إذ قتلوا أباه وأمه ما فعلوه وروى ابن جني وباكوا الأم بالباء من بوك الحمار الأتان لأنه جعلهم كالحمير في غشيانها بغير فحش والغلبة المغالبة ومنه قول الراعي
۞ أخذوا المخاض من الفصيل غلبة ۞ ظلماً ويكتب للأمير أفيلا ۞

فلا بمن مات فخر ۞ ولا بمن نيك رغبه
وإنما قلت ما قلت ۞ رحمة لا محبه

يقول لا فخر له بأبيه ولا يرغب بأمه أيضاً عما فعل بها من قولهم أنا أرغب بك عن هذا وإنما قلت ما أنصفوك رحمة لك لا محبة

وحيلة لك حتى ۞ عذرت لو كنت تيبه
وما عليك من القتل ۞ إنما هي ضربه
وما عليك من الغدر ۞ إنما هي سبه
وما عليك من العار ۞ أن أمك قحبه

أي احتيالاً لك حتى تعذر فيما أصابك لو كنت تشعر وتيبه من قولهم ما وبهت له أي ما بالية وما شعرت به على لغة من يقول يتجع ويتحل وروى الخوارزمي تنبه أي تستيقظ وتذكر وما عليك هذا استهزاء به واستجهال له يقول لا يلزمك من قتل أبيك عار إنما ذلك وقعة بأبيك ومنسوب الغدر يسير به فما عليك منه عار والقحبة اشتقاقها من القحاب وهو السعال وذلك أن الرجل يسعل بها فتجيبه

وما يشق على الكلب ۞ أن يكون ابن كلبه
ما ضرها من أتاها ۞ وإنما ضر صلبه

۞ ولم ينكها ولكن عجانها ناك زبه ۞
۞ يلوم ضبة قوم ولا يلومون قلبه ۞
۞ وقلبه يتشهى ويلزم الجسم ذنبه ۞
۞ لو أبصر الجذع شيئاً أحب في الجذع صلبه ۞

العجان ما بين القبل والدبر يقول إنما هو زولة تصيب من أتاها بعجانها فنكحه ولم يطأها كناية عن الاسم وروى ابن جني شيئاً وأراد الكناية أيضاً أي أحب ذلك أحب أن يكون مصلوباً في ذلك الجذع ۞

يا أطيب الناس نفساً ۞ وألين الناس ركبه
وأخبث الناس أصلاً ۞ في أخبث الأرض تربه
وأرخص الناس أماً ۞ تبيع ألفاً بحبه
كل الفعول سهام ۞ لمريم وهي جعبه
وما على من به الداء ۞ من لقاء الأطبه
وليس بين هلوك ۞ وحرة غير خطبه

يريد أنه سمح القياد يلين لمن راوده وقد أفلت ركبتاه لكثرة بروكه عليهما يعني الذين يأتونه كالأطباء له وفي بيت وآفة الجرب وآية لم يعبه بهوته عليه ما يستبد بدم من الأمر القبيح استحياءً لا وكذلك قوله وليس بين هلوك أي الفاجرة كالحرة المحصنة إلى أهلها لا فرق بينهما إلا الاستحلال بالخطبة ۞

يا قاتلاً كل ضيف ۞ غناه ضيح وعلبه
وخوف كل رفيق ۞ أباتك الليل جنبه
كذا خلقت ومن ذا الـ ۞ ـذي يغالب ربه
ومن يبالي بذم ۞ إذا تعود كسبه
أما ترى الخيل في النخل ۞ سربة بعد سربه
على نسائك تجلو ۞ فعولها منذ سنبه
وهن حولك ينظرن ۞ والأحيراح رطبه
وكل غرمول بغل ۞ يرين يحسدن قنبه

الضيح اللبن يمزج بالماء والعلبة إناء من جلود يشرب فيه اللبن قال ابن جني يقول إذا نزل بك ضيف قتلته وأخذت ما معه فكيف تفعل بالأغنياء قال ابن فورجة ليس في البيت ما يدل على أنه يأخذ ما معه ولو كان المراد أخذ ما معه لم يرد دون أن يقتله والمعنى أنه بخيل يقتل الضيف القليل المؤونة لئلا يحتاج إلى قراه وهذا على ما قاله ابن فورجة لأنه يصفه بالغدر يريد أنه بخيل ضيفاً يشبعه قليل ضيح في علبة لئلا يحتاج إلى سعيد ذلك الغدر وقوله سربة السربة الجماعة من الخيل والسنبة